فى تاريخ الادب التركى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

قلنا فى سياق الكلام عن التصوف أن القرن الثالث عشر الهلادى يمد مطلع نبوغ المتصوفة الأتراك، وذلك لسببين: أحدهما الرغبة الشديدة التى كان السلاجقة الأتراك يبدونها للمتصوفين ورجال الدين، وثانيهما هجرة المتصوفين إلى بلاد الأناضول، وذلك من جراء الغزوات التى كانت تشنها المغول فى الشرق . فسكن هؤلاء فى الأناضول ، وشرعوا يؤسسون الطرائق الدينية .

وكان مؤسس الطريقة يدعى (بير) أو الشيخ ، وهو بعد زعيم طريقته وحامل لوائها . ويخلفه من بعده شيخ آخر بإجازته . وأما الذين كانوا يسلكون تلك الطرائق ويتبعون الشيوخ فكانوا يُدعون بـ(الدراويش) . والمكان الذى فيه يقيمون الشعائر الدينية والطقوس والعبادات المختلفة ، يسمى (التكية) ، وتوسعت هذه التكايا بمر الأيام وكر الأعوام فتأسست لها فروع واجتمع حولها أهل التصوف يتقربون الدفوف ويضربون الطبول وينفخون فى المزمار . فيطربهم النغمات المنطلقة من قلوب ملؤها الحب والهوى ، فيرقصون برقصات الدروشة المعروفة ويتغنون بالأشعار الصوفية التى ينظمها شعراؤهم البارزون . ولهذا كنا نرى الشعراء يتبارون فى نظم المقطعات الشعرية التى تلائم هذه الحياة الموسيقية، تلك المنظومات الموزونة بأوزان تركية خاصة(١) وإن كان قد شاع بينهم العروض .

ويلاحظ فى هذا العصر أن الأدب التركى تأثر كثيراً بالأدب الفارسى ، كما أن هذا الأخير تأثر بالأول من بعض الوجوه ، وذلك بسبب الاختلاط الذى حدث حينذاك بين العناصر الإسلامية المختلفة . فنرى كثيراً من شعراء الترك ، وبالأخص المتصوفة منهم ، ينظمون الشعر باللغة الفارسية أو أنهم يقتبسون القواعد الشعرية الفارسية وأساليبها، أو يستعملون ألفاظاً فارسية فى أشعارهم . ولا ننس بعض الشعراء ممن نسوا لغتهم الأصلية أو هجروها فى الأدب . وكذلك نجد شعراء كثيرين من الفرس برعوا فى التفنن بالأدب التركى . . وهكذا فإن الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر كانت حياة متداخلة امتزجت بها الشعوب الشرقية تحت لواء الدين، فنتج من اتحاد هذه العناصر عنصر أدبى متماسك فى الروح والجوهر ، وإن كان متبايناً فى اللون والمظهر .

دور الأدب التركى فيما قبل العهد العثمانى :

ويشمل هذا الدور عهد الدولة الغزنوية(سنة ٩٦٢ م —

(١) وهى التى تعتمد على المقاطع الصوتية ليتكون كل بيت فى الشعر من عدد من المقاطع المتشابهة . ولها أنواع مختلفة مثل ٤ + ٤ + ٥ + ٣ و ٤ + ٤ + ٣ + ٦ + ٥ والخ ...

كذلك تخشاه الكتلة الشيوعية بدورها ، لأنه يقف فى وجهها سدا

فأما تركيا التى ضربتها جريدة يومياى كرونكل مثلا ، فما أقدمت دولة على حماقة مؤذية كالتى أقدمت عليها تركيا .. لقد كانت فى أضعف أيام الخلافة الوهمية الاسمية يحسب لها حساب. فأما اليوم فقد انتهت إلى أن تصبح ذيلا صغيرا حقيرا للكتلة الغربية ، ترتجف فرقا وفزعا من الكتلة الشرقية ، فلا هى كسبت الكرامة ، ولا هى كسبت السلامة !

إن عجلة الزمن تسير ، ولابد أن تطحن تلك العقبات التى يقيمها الاستعمار أو تقيمها الشيوعية فى وجه الكتلة الاسلامية. وستذوب الأفكار المضادة ، والشخصيات المضادة، والحكومات المضادة . وسيلتقى المسلمون يوما تحت راية الاسلام ، لا مصرى ولا سورى ولا لبنانى ولا عراقى ولا حجازى ولا نجدى ، ولا أردنى ولا يمنى ولا مراكشى ولا جزائرى ، ولا طرابلسى ولا إيرانى ، ولا تركى ، ولا أفغانستانى ولا باكستانى ولا أندونسى..ولكن مسلمون، ومسلمون فقط ..إن الشعوب الاسلامية تزحف ، ولن تقف عقبة واحدة فى الطريق ، يوم يلتقى زحف هذه الشعوب

سيد قطب

١١٨٣م) والدولة القاراخانية (٩٣٢ — ١٢١٢ م) والدولة السلجوقية (من القرن الحادى عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادى) وعهد المغول (من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادى) (١)

وعززت هذه العهود بتحسن الوضع الاجتماعى للأتراك تحسناً كبيراً؛ فبسطوا سلطانهم فى داخل البلاد الإسلامية وكونوا لهم مركزاً ممتازاً بين المسلمين . وقد زاد اتصالهم بالعرب فى هذه العهود ، وقويت العلائق بينهم وبين الفرس والهنود ، فنشأت علاقات ثقافية وثيقة كان لها من الأثر ما كان

إن الآثار الأدبية التى انتشرت فى هذه العهود، والتى انتقلت إلينا على علاتها إنما مصدرها عهد الدولة الغزنوية . وقد تأسست هذه الدولة فى بلاد الأفغان ومناطق البنجاب من الهند . وتوسعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوج عظمتها فى عهد السلطان محمود الغزنوى الذى كان يعطف على الشعراء والأدباء ويشجع الثقافة فى البلاد

فقد ظهر فى هذا العهد كتّاب وعلماء مشهورون ، وكان جلّ اهتمامهم بالفارسية . وظهر كذلك فى هذا العصر بعض الآثار العربية .أما الآثار التركية التى عنى بها رجال الفكر التركى فهى قليلة جدا . ولقد انتقلت إلينا من عهد القاراخانيين مؤلفات أدبية قيمة ، وكذلك آثار نفيسة من عهد السلاجقة ، يستدل منها على أن الأدب التركى فى هذا الدور كان فى عنفوان تكامله

ومن الآثار التى يصادف تاريخها هذه العهود كتاب « قوراتفوبيليك » الذى كتبه الأديب التركى (يوسف خاص حاجب) (٢) فى سنة ٤٦٢ هـ بمدينة كاشغر ، وقدمه إلى الأمير القاراخانى (تابغاج قره بغراخان) فنصبه هذا حاجباً خاصاً فى قصره ، ومن هنا سمى بهذا اللقب . ويتضمن كتابه أشعاراً أخلاقية نظمها بلغة تركية خالصة يندر فيها العثور على ألفاظ أعجمية . فهى بهذا الاعتبار أشعار لها قيمتها العظيمة فى الأدب واللغة التركية من حيث الإفادة فى استعمال كثير من الكلمات التركية المهجورة فى الكتابة الحديثة

ويوجد من هذا الأثر ثلاث نسخ خطية، وجد إحداها المؤرخ المعروف (هامر) فى استانبول، وكانت مكتوبة بالخط التركى القديم (الأويغورى) فأرسلها إلى مكتبة فيانة حيث حققها المستشرقون هناك ونشروها مراراً . ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى سنة ١٤٣٩ م . أما الثانية فوجدت فى مدينة (فرغانة) وكانت مدونة بالحروف التركية العربية . أما النسخة الثالثة فإنها محفوظة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة

وكتاب « عبية الحقائق » الذى ألفه الشاعر أحمد بن محمود فى القرن الثالث عشر الميلادى باللهجة التركية الكاشغرية وهو مجموعة منظومات فى النصح والإرشاد . وقد وجد النسخة الخطية الأولى منها الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات الشرقية فى دار الفنون باستانبول ، فى مكتبة أيا صوفيا . وكانت مكتوبة بالحروف التركية القديمة (الأويغورية) وبالحروف التركية العثمانية (العربية) . فتمكن من تحقيقها ونشرها فى سنه ١٩١٨ (٣)

وكتاب « ديوان لغات الترك » وهو يعد بمثابة معجم ، كتبه محمود حسين الكاشغرى سنة ٤٧٠ هـ ببغداد ليكون مرشدا للمتعلمين، وكان هذا المؤلف يحذق اللغة العربية بقدر ما يجيد لغته التركية ، وقد سكن فى بغداد مدة خمس سنوات (بين سنة ١٠٧٢ م وسنة ١٠٧٧ م) فى الوقت الذى كانت البلاد العراقية تحت حكم السلاجقة ، فأهدى كتابه هذا إلى الخليفة العباسى المقتدى بالله (٤) وهو أثر قيم يعادل دوائر المعارف فى هذا العصر ، فقد اشتمل على خمسمائة وسبعة آلاف مادة فى اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية ، وهو يصور الحياة الاجتماعية والأدبية فى ذلك العصر خير تصوير ، وقد استفاد منه الأتراك فى الوقت الحاضر استفادة كلية فى استنباط الحقائق التاريخية

(١) ولتاريخ هذه الدول راجع الدكتور رضا نور فى كتابه (تاريخ الترك)

(٢) لا نعرف من حياة هذا العالم إلا شيئاً قليلا . وقد قيل إنه كان من طلاب الفيلسوف ابن سينا وذلك لتشابه أفكارهما فى الإنتاج العالى .

(٣) أنظر الأستاذ حسن عالى وجاهته فى كتاب (نماذج من الأدب التركى) ص ٢٧

(٤) نهاد سامى : المرجع السالف الذكر ص ٢٦

والأدبية ، واستخراج المواد اللغوية التي استعاضوا بها عن الألفاظ العربية والفارسية

وقد وجدت نسخته الخطية في استانبول فحققها العلم رفعت الكليسي ونشرتها وزارة المعارف التركية في ثلاث مجلدات، ثم قام بطبعها ثانية مؤتمر اللغة التركية بإشراف الأستاذ بسيم آتالاي

مشاهير الشعراء في هذا الدور :

وأول من يتبادر إلى الذهن الشاعر الصوفي الشهير « أحمد يسوى » مؤسس الطريقة اليسوية في تركستان ، ولد في مدينة « سايرام » من بلاد تركستان ، ودرس العلوم على الشيخ يوسف الهمداني في مدينة بخارى ، ثم عاد إلى مدينة « يسة » حيث أسس أول تكية تركية في التاريخ هناك ، وتوفي سنة ٥٦٢ هـ أما تاريخ مولده فغير معروف ، ويذهب « مليورانسكي » إلى أنه توفي بالغاً من العمر ستة وثلاثين سنة، مستدلا على ذلك من بعض أشعاره(٥)

لقد كان هذا الشاعر من عظماء المتصوفة في وقته، واشتهر كزعيم ديني كبير ومرشد وولي كامل ، فكانت الجماعات الغفيرة تلتف حوله يأملون منه اللطف وينالون الدعاء .. وكان لأدبه أثر عميق في النفوس . وعرف ديوانه الشعري بين الناس بديوان الحكمة لما كان يتضمن من الحكم البالغة والمواعظ الحسنة والأمثال

الخواجه رشادي

وقد عرفه إلى عالم الأدب لأول مرة الأستاذ فؤاد كوبريلي، إذ كان هذا الشاعر غير معروف في الأوساط الأدبية حتى تمكن الأستاذ كوبريلي من العثور على بعض الوثائق التاريخية في جوامع المكتبات . وتمكن بعد ذلك من التعمق في البحث حتى حصل على كثير من المعلومات حوله ، فنشرها في بعض المجلات التركية (٦) ويتضح من تلك الدراسات أنه كان خراساني المولد وأناضولي النشأة ، حيث أدرك عصر الأمير علاء الدين كيقباد ، وعاش هذا الأمير مدة من الزمن ، مدحه في بعض قصائده . وهو يعد أول شاعر تركي جمع ديواناً مرتباً على الحروف الهجائية، إذ لا نعرف شاعراً تركيا آخر سبقه في هذا الخصوص

جلال الدين الرومي :

ولد في ٣٠ / ايلول / ١٢٠٧ م (٦٠٤هـ) في مدينة (بلخ) وتوفي سنة ٦٧٢ هـ في ولاية (قونية) التركية . وكان والده (بهاء الدين ولد) الملقب بسلطان العلماء ؛ من خيرة رجال العلم والأدب ، وزعيم الطبقة المنورة في زمانه . رحل هذا العالم ومعه ابنه جلال الدين إلى الديار الحجازية.. ومن ثم رجع إلى مدينة (قونية) حيث استقر فيها . وفي أثناء إقامته هناك حظوة عند الأمير السلجوقي علاء الدين كيقباد

توفي الشيخ بهاء الدين سنة ٦٢٨ هـ وكان قد لقن ولده العلوم الظاهرية . ورأى جلال الدين بعد وفاة أبيه أن يسعى لإكمال دراسته وإتمام ثقافته ، فاتصل بالسيد برهان الدين الترمذي — من تلامذة والده — فدرس عليه العلوم الباطنية ، وقد نال إعجابه . فما كان من السيد الترمذي إلا أن جعله (مريداً) له

وتعد سنة ١٢٤٤ م بداية عهد جديد في حياة جلال الدين الرومي ، فقد التقى بالشيخ شمس الدين التبريزي المتصوف المعروف، فانصرف معه إلى الحياة الصوفية . وبدأ منذ ذلك اليوم . ينظم القصائد الجياد في الشعر التصوفي حتى غدا شاعرا يشار إليه بالبنان، وقد خلف مؤلفات قيمة ترجمت إلى لغات كثيرة ، نذكر منها « الديوان الكبير » الذي اشتمل على منظومات رباعية بديعة وأشعار رقيقة في الغزل . و « المثنوي » وقد حاز إعجاب الجمهور، ونال استحسان الأندية الثقافية. فأقدم العلماء على درسه وترجمته إلى لغات مختلفة . ويتضمن هذا الكتاب قصصاً وروايات رمزية ، ونصائح وإرشادات دينية قيمة . ويحتوي كذلك على شرح المذهب الصوفي في محبة الله ...

وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصي بديع تجلى فيه الأدب

(٥) دائرة المعارف الاسلامية : ج ١ مادة (أحمد يسوى)

(٦) منها مجلة « حياة » العدد ١ و ١٠٣

الرفيع بأبهى جماله . وكان جلال الدين قد نظم أشعاره باللغة الفارسية باستثناء بعض القطعات التركية (٧) وهو مع ذلك لاينفى كونه تركيا خالصاً إذ يقول :

« أسلم تورکمت ا کرجه هندو کویم »

بمعنى : أنني من الأصل التركي وإن اخترت الفارسية لغة

وهو يعد بحق مؤسس الطريقة الجلالية التي سميت فيما بعد بالطريقة المولوية . وتوسعت هذه الطريقة على يد ولده النجيب الموسوم بـ (سلطان ولد) (٨) الذي تمكن من نشر لوائها فوق سماء البلاد النائية ، فتفرعت الطريقة إلى فروع تغلغلت جذورها في داخل الأقطار العراقية والسورية والمصرية وانتشرت مبادئها كذلك في بلاد آذربيجان الشمالية

ولهذه الطريقة أثر عظيم في سير الأدب التركي . فقد أخذ الشعراء الأتراك يتقربون إلى شيوخها ويعتنقون تقاليد الطريقة وشعائرها المعروفة، فظهر لون من الأدب ينبغي تسميته بالأدب المولوي الذي أصبح فيما بعد يسمى بأدب التكايا ، وذلك نتيجة تنوع الطرائق الصوفية وانتشارها في طول البلاد وعرضها

هذه نبذة مختصرة عن حياة الشاعر جلال الدين الرومي وعن أثره في الأدب التركي . وهناك شعراء كثيرون ممن عاشوا في هذه العهود أمثال الخوارزمي والخجندي وسليمان باقر ومير حيدر ولطفي وأميري وحسين بايقرا وعلي شير نوائي والقاضي برهان الدين وضرير الأرضرومي وحبيبي وخطائي وغيرهم من شعراء الترك(٩) ، إن أردنا الاستفاضة في دراستهم في هذا المقام لطال بنا المقال ، وخرج عما سميناه بالنظرات وقد راعينا جانب الاختصار وتجانبنا التفصيل...

وهنا نكون قد أعطينا للقارئ صورة مختصرة للأدوار التاريخية التي مر بها الأدب التركي منذ نشأته حتى أوائل العهد العثماني . وقد رأينا فيما أن الأدب التركي في هذه الفترات كان يكتنفه شيء من الغموض، بحيث يتعذر معه الوصول إلى كشف خفاياه وإظهار مجاهله ، وذلك لافتقارنا الشديد إلى المصادر التاريخية القديمة التي ترشدنا إلى معالم هذا الأدب في عصوره المظلمة .

ورأينا في هذا المقال أننا كلما تدرجنا في الموضوع تدرجاً زمنياً وجدنا أن الأدب التركي يزداد وضوحاً في العصور الأخيرة

وسنرى في دراساتنا القادمة ، إن سمح لنا الوقت، أن الأدب التركي أصبح موضوعه أمراً ملموساً له حدود ثابتة وأدوار تاريخية معينة . .

كركوك (العراق) عطاء ترزي باشي

(٧) وقد جمع هذه القطعات البروفيسور التركي محمد شرف الدين ونشرها في مجلة « تورکيات »

(٨) وهو شاعر كوالده مطبوع له أشعار رائعة في اللغتين الفارسية والتركية

(٩) انظر فؤاد كوبرلي في مجلة « بلكي تورك » العدد ٤ ص ٢٧٦ — ٢٩٢

رفائيل

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

إحدى روائع القصص العالمي الواقعي
لشاعر فرنسا الخالد « لامرتين »

قص فيها بأسلوبه الشعري تاريخ فترة من شبابه تدفق فيها حسه بالجمال وفاض بها شعوره بالحب . وهي كالام « فرتر » في دقة الترجمة وقوة الأسلوب طبعت أربع مرات وثمنها

٢٥ قرشا عدا أجرة البريد